نادى دار العلوم بين عهدين

بقلم محمد هاشم عطية
المدرس بدار العلوم

فى طليعة هذا القرن نشطت الحياة العقلية فى البلاد ، وازدادت الرغبة فى الاستفادة من الثقافات الأجنبية ، وكثر اختلاف طبقات المصريين إلى الأقطار النائية ، وظهرت آثار التحول فى مرافق الحياة الاجتماعية ، وتدفقت سيول الدخيل من الأوضاع الطارئة للمسميات الحديثة ، وأوشكت الرطانات الأعجمية أن تأخذ مكانها بين ألفاظ اللغة ، ومست حاجة النقلة والمترجمين إلى مدد زاخر من الكفايات اللفظية ، وكانت دار العلوم قد حملت منذ نشأتها أمانة العربية ، فصحت عزيمة جماعة من أعلام أدبائها يومئذ على إنشاء نادلهم يؤلف بين صفوفهم ، ويضم جماعتهم ، ليبلغوا غايتهم فى التوفر على حماية الفصحى من وثبات اللغات الدخيلة التى كادت تنازعها الوجود ، وتنسخ — لا قدر الله — ظلها من الحياة ، وليتجردوا لرياضتها على الطاعة لألسنة العلماء وأقلام المؤلفين بالاجتهاد فى تزويد البيئات العلمية بحاجتها من الألفاظ والمصطلحات ، مع استخدام الطرق المسلمة من الاشتقاق والمجاز والتعريب والنحت ، عملا بحكمة المسايرة لقوانين التجدد والارتقاء ، ونفيا لمكان الجمود عن لغة أمة صعدت بهم زمانا إلى الملك والدولة ، فكانت لغة الأدب والدين والجدل والخطابة والكتابة والشعر والقضاء والسياسة والصناعة والعلم والفن .

ولما فرغوا من جهادهم ، ووضع قانون ناديهم ولائحته الداخلية ، وانتخاب رئيسه وأعضائه وكاتب سره ، احتفل بافتتاحه فى نوفمبر سنة ١٩٠٧ فى

الأول ، والداعى إلى تصرته وتأييده ، ويعارضه إلى جانب الرأى الثانى علامتنا الإمام الاسكندرى ، أبقاه الله ووقاه ، وقد بلغ فى ذلك من الأعاجيب إلى ما جعل مقالاته فى هذا الموضوع كإحدى المناقب الأدبية لنادى دار العلوم ، فى جمال العبارة ، وقوة الأسلوب ، والتشبه بالأوائل . وقد فلج بالحجة ، وظفر بالغلب على مناظريه ، وخاصة بأضاحيكه التى تلطف بسياقها فى أدلته التهكمية ، حتى جعل الناس لا يعرجون بعده على قول ، ولا يكادون يستمعون لخطيب ، ونسوق هنا بعض هذه النصوص على سبيل التفكهة للقراء :

قال حفظه الله : « فلو جرينا على شبهة القائلين باستعمال الألفاظ الأعجمية التى أحدثتها المدنية الأوربية من أسماء المصالح والإدارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم تطرّقنا فى العربية لأكثر من عشرين ألف كلمة ، وذلك خطب هائل يأتى بنيان اللغة من قواعده ، وتستأسر له تلك الفلول التى بقيت فى رؤوسنا منها . وما ظنك ببقاء ستة آلاف لفظ تستعمل الآن فى الجرائد والمجلات والرسائل أمام هذا السيل الجارف ؟ ويزيد الأمر ضغثا على إبالة اشتقاق الأفعال والمصادر من هذه الألفاظ الأعجمية على نحو ما فعلت العرب فى لجام وبريد . من قولهم : (ألجمت الفرس ، وأبردت السفير) فتقول : تَلَفَنَنَا بَنْكُ أَنْجُلُو اجبْشنْ ليمتد بأن أحد البناكير تَلَغْرَفَهُ بعمل بُرُتِسْتُوا علينا) كما تقول : « أترمتُ إلى أُوتيل ميناهاوس حيث رأينا تيلونو توجوافين يُلَفْجِرَانِ مَتْشَ الجمال ثم رجعت مُتَنْبِلاً إلى الكازينو لمشاهدة السينماتوجراف فَأَلْوَجْتُ ولم أُفتِيّ » . قال : وهى درجة لا تصل إليها الأمة إلا بخذلان من الله تعالى . وحدث عن بعض ثقاته أنه لما عقد مؤتمر الجزائر قبل ذلك التاريخ بعامين ، سمع بعض متفرنجة الجزائر يقول (ربت أنا والمدموازيل إنتاعى

الأول، والداعى إلى تصرته وتأييده، ويعارضه إلى جانب الرأى الثانى علامتنا الإمام الاسكندرى، أبقاه الله ووقاه، وقد بلغ فى ذلك من الأعاجيب إلى ما جعل مقالاته فى هذا الموضوع كإحدى المناقب الأدبية لنادى دار العلوم، فى جمال العبارة، وقوة الأسلوب، والتشبه بالأوائل. وقد فلج بالحجة، وظفر بالغلب على مناظريه، وخاصة بأضاحيكه التى تلطف بسياقها فى أدلته التهكمية، حتى جعل الناس لا يعرجون بعده على قول، ولا يكادون يستمعون لخطيب، ونسوق هنا بعض هذه النصوص على سبيل التفكهة للقراء:

قال حفظه الله: «فلو جرينا على شبهة القائلين باستعمال الألفاظ الأعجمية التى أحدثتها المدنية الأوربية من أسماء المصالح والإدارات والشركات والآلات واصطلاحات العلوم تطرّقنا فى العربية لأكثر من عشرين ألف كلمة، وذلك خطب هائل يأتى بنيان اللغة من قواعده، وتستأسر له تلك الفلول التى بقيت فى رؤوسنا منها. وما ظنك ببقاء ستة آلاف لفظ تستعمل الآن فى الجرائد والمجلات والرسائل أمام هذا السيل الجارف؟ ويزيد الأمر ضغثا على إبالة اشتقاق الأفعال والمصادر من هذه الألفاظ الأعجمية على نحو ما فعلت العرب فى لجام وبريد. من قولهم: (ألجمت الفرس، وأبردت السفير) فتقول: تَلَفَنَّا بَنْكُ أَنْجِلُو اجبْشنْ ليمتد بأن أحد البناكير تَلَغْرَفَهُ بعمل بُرُتِستُوا علينا) كما تقول: «أترمتُ إلى أُوتِيل مِناهاوس حيث رأينا تيلونو توجوافين يُتَفِجرَانِ مَتَشَ الجمال ثم رجعت مُتَنَبِلاً إلى الكازينو لمشاهدة السينماتوجراف فَأُلوَجْتُ ولم أُفتِيّ». قال: وهى درجة لا تصل إليها الأمة إلا بخذلان من الله تعالى؛ وحدث عن بعض ثقاته أنه لما عقد مؤتمر الجزائر قبل ذلك التاريخ بعامين، سمع بعض متفرنجة الجزائر يقول (ربت أنا والمدموازيل إنتاعى

فى الشماندفير ووصلنا عِنَاية الساعة ثمانية سوَار) ومن يقول : (أنا أُصَلِّى فى الشامبر سِيدِى مافى مُوسْكِى) ذلك وبعد الفراغ من إلقاء هذه الخطب صدر القرار الآتى بإجماع الآراء : فى الساعة العاشرة من مساء الخميس العشرين من فبراير سنة ١٩٠٨ بعد سماع ما قاله الخطباء فى موضوع تسمية المسميات الحديثة (قرر نادى دار العلوم أن يكون العمل على النحو الآتى : « يبحث فى اللغة ، العربية عن أسماء للمسميات الحديثة بأى طريقة من الطرق الجائزة فى اللغة ، فاذا تعذر ذلك بعد البحث الشديد يستعار اللفظ الأعجمى بعد صقله ووضعه على مناهج العربية ، ويستعمل فى اللغة الفصحى بعد أن يعتمده المجمع اللغوى الذى سيؤلف لهذا الغرض » .[1]

وبعد ذلك انصرف أعضاء اللجنة العلمية لوضع الأسماء والمصطلحات المطلوبة ، فأتموا من ذلك طائفة صالحة كانت تنشر تباعا فى صحيفة النادى ، وكانت وزارة المعارف توزعها فى نشرات مطبوعة على مدارسها الابتدائية ، وهى بلا ريب أول الخطوات المباركة من بوادر الاصلاح اللغوى الجليل الفائدة ، الذى قام به فى إخلاص وصمت أشياخ المدرسة القديمة ، وانتهى بإبراز أول كتاب جامع لشتات كثير من الدخيل والعامى والفصيح ، ووضع أسماء لمسميات حديثة فى العلم والصناعة والماعون والمرافق والآلات فى جزءين لواضعه الأستاذ محمد على الرسوفى أحد رجال دار العلوم . ويعتبر خير ما كتب فى هذا الموضوع إلى الآن . وبعد ذلك انتقل النادى إلى عمارة جنيد فى ميدان عابدين ، وكانت تعد من أجمل مبانى القاهرة إذ ذاك ، وجهزت غرفاته بالرياش الفاخر ، وأعدت مكتبته على أجمل طراز . ويومئذ انتقلت رياسة النادى إلى الخطيب الكبير المرحوم

(١) هذا القرار لا يختلف عما قرره فى سنة ١٩٣٤ مجمع اللغة العربية الملكى .

عاطف برڭات باشا، ومن بعده إلى المغفور له عبد الرحيم أحمد بك، وكان ناظرا لدار العلوم بين سنتى ١١ و ١٢، وانتقلت محاضرات النادى إلى مدرج دار العلوم. وفى هذه الأيام ألقى شيخ الحفاظ وحجة اللغة المرحوم شيخنا حمزة فتح الله عدة محاضرات لطلبة السنة النهائية من المدرسة وغيرهم من أكابر ذلك العهد وعلمائه بجهارته المعروفة وضبطه المشهور، فأعاد إلى الأذهان ذكرى أبى العباس المبرد، وأبى القاسم اسماعيل ابن على القالى، وأضرابهم إبان عصر الإملاء. ثم حدثت أمور وحالت أحداث، ونشبت الحرب الكبرى فى أقطار الأرض، فانفضت الجماعات وعطلت الأندية، وتوارى فى خلال ذلك نادى دار العلوم، وطويت صحيفته. وبقيت هذه الذكريات منهما فكرة عالقة بالقلوب، وخاطرا جياشا بالنفوس، حتى أتاح الله لأبناء دار العلوم مرة ثانية أن يعيدوا الوحدة إلى صفوفهم، ويراجعوا ذلك الماضى المجيد من صالح سلفهم، فتألفت الجماعة الثانية لدار العلوم، وهى تجمع فى هذه المرة إلى رجحان المشايخ حمية الفتيان، وتحفز الشباب الناظر لما أثارته الحياة الطويلة تحت مضاضة الاهتضام والغبن من سورة النفوس، واجتماع العزم الصادق على الجد فى طلب الوسيلة بأقصى ما تبلغه الطاقة لخلاص حراس العربية وكفاة حاجها من الظلم الذى تجاوز الغاية، وأفنى ذخائر الاصطبار. وبعد المشاورة والبحث فى عدة اجتماعات استقر الرأى على انتخاب الأستاذ أبى الفتح الفقى المفتش بوزارة المعارف رئيساً لجماعة دار العلوم، وبدأت الجماعة بإعداد اللجان المختلفة للتأليف والكتابة، وإحياء الآداب والعلوم والكتب، وأصدرت صحيفة دار العلوم التى تعد على حداثتها من الأعمال الباهرة المستحقة للإعجاب والفخر.

وفى ضحى يوم عيد الأضحى من هذا الشهر المبارك وجهت الدعوة لأعضاء الجماعة من المقيمين فى العاصمة، ومن النازلين إليها من الأقاليم فى

هذه العطلة لأول اجتماع عام بنادبهم الجديد، للاحتفال بتخليد ذلك اليوم التاريخي في حياة شعب العربية الكريم.

وفي ذلك اليوم كنت ترى وفودهم المتدافعة تتلاقى على أبواب عمارة في أجمل أحياء القاهرة، حيث يلتقي شارع المناخ بعماد الدين على جانبه الغربي قبالة دار المصرف العقاري؛ وهي بناية قديمة الطراز، سمحة الرونق، تتميز عما حولها من العمائر الحديثة بألوان طلائها الحائلة، وطنفها الرخامية، ونوافذها الواسعة. في أعلى هذه البناية وفي طبقتها الثانية هنالك نادي دار العلوم، ندوة أبنائها، ومجمع كتابها وشعرائها، وسامر شبانها وشيبها، تغص غرفاته الواسعة وأفرشته الوثيرة كل عشية بكرام الزملاء، إخواناً متساوين على تفاوت أقدار وأعمار، يتبادلون فيما بينهم السمر الجني، والمجاذبة الكريمة، ويختلف بعضهم إلى بعض في المجالس والحجرات، كما يصنع الانسان في داره وبين أهله والأقربين من عشيرته؛ وقد أعدت غرفة المكتبة ليستخدمها من يشاء من الأعضاء للعمل الهادىء من كتابة أو مطالعة أو تأليف. ولا نريد أن نزين موقعه وما لقيته الجماعة من التوفيق في اختيار مكانه. وما تؤديه إليك مناظره الشارعة من مجالي المدينة، بأكثر من أن ندعو المحبين للأدب والراغبين في تكرمة العلم إلى التفضل بزيارته ليتلقى النادي وأهله هذه الكرامة بما تستحقه من التقدير والتقبل إن شاء الله تعالى.

وقد انتخب أول رئيس له الأستاذ محمد نجيب متاته معاون المراقب للتعليم الأولى.

وسيمضي النادي بعون الله على الرسم في تنبيه النباغات، وتنشيط البحث الصحيح، وحمل الآداب إلى الجادة، وتبصير الناشئين بما في ثقافات أسلافهم من الفضيلة، والعمل على تنقية حواشي اللغة من أكاذيب المبتدعة، ونهي الملاحدة من أهل زماننا عن التناول لكرامة المدرسة القديمة. وإن

كتاب الله ليعدنا بالبقاء والحراسة على تصرف الغير ، وتظاهر الأحداث فى مد صوته إذ يقول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) لما تقتضيه كفالة الله الواجبة لحفظ كتابة المنزل من الدلالة الصريحة على تناول هذه الولاية الصمدانية للغة ذلك الكتاب ، وللذائدين عن حماها من أهل طاعته .

وحسبنا أن يكون الله سبحانه وتعالى كفيلنا وولى نصرتنا وهو القائل : (إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده) .

هدانا الله إلى سبيل الحكمة ، وجنبنا مذمة العجب بالقول والعمل إن شاء الله ؟

محمد هاشم عطية

الضلوع الساجـــدة

بقلم على شرف الدين
المدرس بالمدارس الأميرية

أفرخ الشوق على أضلعه وجرى الخافق فى أدمعه
وإذا مال إلى مضجعه أسلم الجنب لشوك فنبا

* * *

الضنى والسهد من صبوته أنبتا الورس على وجنته
وإذا كفكف من عبرته ودعا القلب لصبر وثبا

* * *